الموقف الافريقي من قضية فلسطين

د. مجدي حماد*

عندما بدأت اسرائيل نشاطها في القارة الافريقية عام ١٩٥٧ ، لم يكن لها علاقات سياسية تذكر مع الدول النامية كلها ، باستثناء بعض العلاقات ذات الأهمية المحدودة ـ مثل علاقاتها القنصلية مع بورما في آسيا وليبيريا واثيوبيا في افريقيا . وفي خلال العشر سنوات التالية اقامت اسرائيل شبكة من العلاقات السياسية مع اكثر من (٨٠) دولة من الدول النامية ، واصبح برنامج تعاونها السياسي والاقتصادي والفني والدعائي مع هذه الدول يمثل احد الاسس البارزة لسياستها الخارجية .

ويمكن القول ان العلاقات الاسرائيلية ـ الافريقية قد بلغت ذروتها في عام ١٩٦٧ . اذ نجحت اسرائيل حتى ذلك العام في اقامة علاقات دبلوماسية مع (٣٢) دولة افريقية بالاضافة الى تمثيل قنصل فخري مع (٥) مناطق افريقية اخرى كانت معظمها لا تزال مستعمرات مثل غينيا بيساو وانجولا وموزمبيق وسوازيلاند . كذلك اقامت (١١) دولة افريقية تمثيلا دبلوماسيا لها في اسرائيل . وهكذا فقد استطاعت اسرائيل ـ وقد امتدت بعثاتها الدبلوماسية الى العدد الأكبر من الدول الافريقية ـ ان تحقق انجازات بارزة تبلورت في خلق « مكانة دولية » لاسرائيل لم تبلغها في اي وقت مضى فقد تمكنت اسرائيل ، بفضل فعالية سياستها الخارجية في افريقيا ، ان تحصل على تأييد الدول الافريقية بوجه

(*) خبير بمركز الدراسات الاستراتيجية في جريدة الاهرام المصرية .

عام لسياستها الخاصة بدعم الوجود الاسرائيلي والخروج من االعزلة السياسية والبروز في الميدان الدولي ، فضلا عن تدعيم نفوذها السياسي في القارة . وقد ساعد اسرائيل على ذلك ، الضعف النسبي للسياسة العربية في افريقيا ، بالاضافة الى الميراث الاستعماري الذي مهد للسياسة الاسرائيلية في افريقيا ، واستغلال اسرائيل لخصائص التخلف والتبعية الاقتصادية ونقص الكوادر في افريقيا ، حيث كانت تراعي وسائل سياستها الخارجية هذه العوامل ، حتى تسبق السياسة العربية في هذا المجال[1] .

ولقد انعكست هذه المكانة الدولية بما رافقها من انجازات سياسية واقتصادية ، في تأييد الدول الافريقية لاسرائيل في قضاياها في المحافل الدولية . ولقد كان ابرز النماذج على ذلك ، تأييد عدد كبير من الدول الافريقية لاسرائيل خلال الدورة الطارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ .

ولكن اذا كان عام ١٩٦٧ يمثل ذروة النشاط والنجاح الاسرائيلي في افريقيا ، فهو في ذات الوقت يمثل بداية التدهور الفعلي . على المستوىالرسمي والمعلن على الاقل ـ في اتجاه العلاقات الاسرائيلية ـ الافريقية . فقد بدأت الدول الافريقية في اتخاذ مواقف اكثر تأييدا للجانب العربي من خلال القرارات والتوصيات في المنظمات الدولية ، ومن خلال التوسط لدى طرفي الصراع ، حتى لقد وصل التأييد الى الحد الذي دفع الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، اذ قامت (٩) دول افريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل قبل نشوب حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، وفي غمار الحرب وفي اعقابها مباشرة قامت (٢٠) دولة افريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . ولم يبق الا ملاوي وسوازيلاند وليسوتو ، وقد تأثرت مواقف هذه الدول التي لم تقطع العلاقات الدبلوماسية بوضعيتها الجيوبوليتيكية والميراث الاستعماري واحاطتها او التصاقها او قربها بالدول التي تحكمها النظم العنصرية في افريقيا الجنوبية[2] .

ولا شك ان هذه الظاهرة الدبلوماسية الافريقية الجماعية في حاجة الى « تأصيل » متكامل يستهدف تحديد مضمونها الحقيقي ودلالتها الفعلية فضلا عن تقييم فعاليتها السياسية والاقتصادية من منظور عملية ادارة الصراع العربي ـ الاسرائيلي في افريقيا ، بالنسبة لقدرات الطرف الاسرائيلي ـ من ناحية ، وبالنسبة لوجهة نظر اسرائيل بخصوصها ـ من ناحية اخرى . ويمكن القول ان تحديد المضمون والدلالة فضلا عن تقييم الفعالية ، لا بد وان يستند الى خلفية عامة تتصل بطبيعة القرار الذي اتخذته الدول الافريقية بالاضافة الى الظروف والملابسات التي احاطت باتخاذ هذا القرار على المستويات العالمية والافريقية والعربية والاسرائيلية . ولا شك ان التحديد بهذه العناصر المرتبطة

بالدبلوماسية الافريقية تجاه اسرائيل ، يصبح مدخلا قائما لفهم وتفسير التحول الافريقي ضد اسرائيل بشكل متكامل .

وفي تركيز هذه الدراسة ، اساسا على طبيعة القرار الافريقي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، سيجري التركيز على ثلاثة عناصر :

أولها : ظروف وملابسات اللقاء العربي ـ الافريقي .

وثانيها : « فلسطين » في القرارات الافريقية .

وثالثها : الاستمرار والتغير في الموقف الافريقي .

أولا : ظروف وملابسات اللقاء العربي ـ الافريقي

حتى يمكن فهم وتقدير طبيعة وظروف القرار الافريقي شبه الاجماعي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، لا بد من الابتداء اصلا بطبيعة وظروف الموقف الافريقي من « القضية الفلسطينية » وما ترافق مع تطوراتها مما اصطلح على تسميته بالصراع العربي الاسرائيلي . ويفضي بنا ذلك الى ضرورة الاشارة الى طبيعة وظروف اللقاء المبدئي بين الدول العربية والدول الافريقية ، بعد حصول كل من هاتين المجموعتين من الدول على استقلالها السياسي وممارستها لخصائص السيادة في الميدان الخارجي .

ومن هذه الناحية ، ينزع البعض احيانا الى رد التقارب واللقاء العربي ـ الافريقي ، الى العوامل التاريخية والجيوبوليتيكية . وفي الواقع يمكن القول ان جميع هذه العوامل ، وإن كانت قد سهلت الطريق نحو التضامن العربي ـ الافريقي ، الا انها مع ذلك لم تكن ذات علاقة سلبية كافية لكي تكون المحرك الاساسي في طريق التقارب . ويكفي ان نذكر هنا بالتحديد مراعاة الدول الافريقية عدم التورط طوال الستينات في القضية الفلسطينية ومن بعد في « أزمة الشرق الاوسط »، وترك مهمة حلها على عاتق الأمم المتحدة .

وبناء على ذلك ، يقتضي الالمام بظروف اللقاء بين هاتين المجموعتين من الدول ، الرجوع الى ظروف كل جانب على حدة ، واستكشاف ما يمكن ان تفرزه محصلة التفاعل بينهما من عناصر اساسية ، لا بد وان تلازم اي تعاون عربي ـ افريقي .

ففي **الجانب العربي** ، كانت « القومية العربية » ـ كما برزت في الخمسينات تحت وطأة المأساة الفلسطينية ـ هي اول تيار فكري معاصر استهدف وضع صيغة جديدة

للتضامن العربي الافريقي . وتكفي اشارة موجزة ، من « فلسفة الثورة » للزعيم جمال عبد الناصر ، تعبر عن ادراكه المبكر لهذه العلاقة ، حيث يقول :

« إن القدر لا يهزل ، وليست هناك احداث من صنع الصدفة ، ولا وجود يصنعه الهباء . ولن نستطيع ان ننظر الى خريطة العالم نظرة بلهاء لا ندرك بها مكاننا على هذه الخريطة ودورنا بحكم هذا المكان .

أيمكن ان نتجاهل ان هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وان هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحها بمصالحنا ، حقيقة وفعلا لا مجرد كلام ؟

أيمكن ان نتجاهل ان هناك قارة افريقية شاء لنا القدر ان نكون فيها ، وشاء ايضا ان يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا او علينا سواء اردنا او لم نرد ؟

أيمكن ان نتجاهل ان هناك عالما اسلاميا تجمعنا وإياه روابط لا تقربها العقيدة الدينية فحسب ، وإنما تشدها حقائق التاريخ ؟»[٣] .

وهكذا كان من الطبيعي ان تكون للزعيم المصري ، الذي تولى جانبا اساسيا من مسؤولية العمل العربي ، رؤية خاصة لمصير افريقيا ، وهي رؤية تتفق مع اهداف القومية العربية . ولقد تجلى ذلك ، فكرا ، في ادراك الرئيس عبد الناصر للضرورة الاستراتيجية في مناصرة قضايا الشعوب الافريقية التي كانت تخوض نضالا تحرريا للتخلص من السيطرة الاستعمارية ، وفي التعجيل بتحرير القارة . كما جاءت ترجمة هذا الهدف العربي ، عملا ، في شكل سياسة افريقية نشطة مارستها مصر منذ نهاية الخمسينات وطوال الستينات[٤] .

أما **الجانب الافريقي** ، وكان في ذلك الوقت يخوض نضالا تحرريا ضد الاستعمار ، فقد كانت تسيطر عليه مفاهيم افريقية بحتة ، تستهدف قبل اي شيء آخر رد الاعتبار للرجل الاسود امام العالم . فقد كانت لحركة « الزنجية » التي دعا اليها الكاتب الافريقي « سيزير » ثم تناولها بعده الرئيس السنغالي السابق « ليوبولد سنغور » مفاهيم اساسية قائمة على تمجيد الهوية الافريقية ذات الملامح المميزة والتي تغرس جذورها في اقدم العصور . ثم كانت بعد ذلك الدعوة الى الوحدة الافريقية التي نادى بها الرئيس نكروما ، وارتقى بها الى مرتبة الحركة التحررية ، وتلك الدعوة كانت ترى في القوميات الافريقية الصاعدة في شكل دول مجرد مرحلة انتقالية في النضال الثوري الطويل المدى ، الذي شرعت فيه افريقيا ، لا بد وان تؤدي في نهاية المطاف الى الوحدة الكاملة للقارة[٥] . ثم

قامت بعد ذلك ، في مايو عام ١٩٦٣ ، منظمة الوحدة الافريقية ، فأصبح اهتمامها منصبا على « تكريس الوضع الاقليمي الراهن » في القارة ، وعلى تأكيد الحدود الفاصلة بين الدول التي حصلت على استقلالها الوطني ، وعلى الدعوة الى استكمال تحرير القارة من السيطرة الاستعمارية .

وانطلاقا من هذا الاطار جاءت تركيبة العلاقات العربية ـ الافريقية ، من التقاء هذين التيارين : من **ناحية** ـ تيار « القومية العربية » الذي يربط بين المأساة الفلسطينية والاستعمار ويطرح قضية القواعد العسكرية الاجنبية متمسكا بالحياد الايجابي وعدم الانحياز في غمار تصاعد حدة الحرب الباردة ، ومن **ناحية اخرى** ـ تيار « القومية الافريقية » ـ ان جاز التعبير ـ او تيار « الافريقانية » الذي يصدر عن نزعة قارية تجمع بين دول مستقلة على اسس المساواة التامة الى حد عدم الاعتراف بأي زعامة للقارة ، وتقديس الحدود القائمة ، ولكنها في الوقت نفسه نزعة تغطي اسطورة مزدوجة مستمدة من التاريخ الافريقي : الوحدة الافريقية والسلوك الافريقي المميز .

وربما تفسر هذه العناصر ، التي كان لا بد وان تلازم اي تعاون عربي ـ افريقي ، جانبا من الدوافع التي حدت بالزعيم عبد الناصر الى ان يعلن في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الافريقي الأول (مايو عام ١٩٦٣) ، انه لن يطرح للمناقشة مشكلة اسرائيل والقضية الفلسطينية تقديرا لكل ظروف الواقع الافريقي ومعطياته[٦] . بل وعلى الرغم من كثرة عناصر الاتفاق والالتقاء المبدئية بين الدول العربية والدول الافريقية ، الا ان نشأة منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣ ، قد سجلت بروز عناصر من عدم الالتقاء الذي بلغ في بعض الأحيان مرتبة التنافر ، ومن هذه الناحية يمكن الاشارة بصفة خاصة الى عنصرين :

أولهما : إن قيادات بعض الدول الافريقية قد طالبت مؤتمر القمة في اديس ابابا الذي اسفر عن قيام منظمة الوحدة الافريقية ، بحل جميع المنظمات الاقليمية في القارة لصالح المنظمة الجديدة . وقد جاء ذكر جامعة الدول العربية ضمن هذه المنظمات التي يجب ان تحل . وعلى الرغم من ان المؤتمر لم يأخذ بهذا الاتجاه ، الا ان منظمة الوحدة الافريقية لم ترتح الى وجود المنظمات الاقليمية ، وفي مقدمتها جامعة الدول العربية ، التي رأت فيها منظمة منافسة لها تدفع بعض الدول الافريقية الى ان ترتبط بدول غير افريقية (الدول العربية الاسيوية) وتهتم بقضايا غير افريقية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين ، على حساب القضايا الافريقية الصرفة .

وثانيها ـ ان النزعة القارية الافريقية كانت تفرض « حدودا قارية » بحتة لأي تعاون

عربي ـ افريقي . وكان الانعكاس المباشر لذلك هو ان فلسطين تقع خارج النطاق الافريقي ، وان قضية فلسطين تبعا لذلك ليست قضية افريقية ، بل هي قضية اقحمت على القارة دون مبرر حقيقي . ويمكن تفسير هذا الاتجاه بظروف **الجانب الافريقي ـ** حيث كانت الدول الافريقية حديثة الاستقلال ، وكان عليها ان تواجه اكثر من مشكلة معقدة وخاصة : بناء هياكل الدولة الجديدة ، وتحرير اقتصادها الوطني من التبعية للدولة المستعمرة ، واخيرا مواجهة مشكلة التخلف ـ وهي كلها مشكلات يتوقف عليها مصير هذه الدول . اما الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وهو القضية المصيرية بالنسبة للدول العربية ، فقد كان يبدو في نظر الحكومات الافريقية الجديدة جسما غريبا لا مكان له ضمن اهتماماتها الأولى . كما يمكن تفسيره بسلوك **الجانب** العربي وميراثه في التعامل مع الدول مع الدول الافريقية . ويبرز هنا بشكل خاص ان موقف الدول العربية الاسيوية ازاء الأولويات التي وضعتها منظمة الوحدة الافريقية كان يتسم خلال هذه الفترة بعدم المبالاة . وعلى سبيل المثال ، في الوقت الذي كانت فيه افريقيا تهاجم سياسة « الابارتيد » في جنوب افريقيا والحكم العنصري في روديسيا وناميبيا ، شاع القول بأن بعضاً من هذه الدول العربية الاسيوية قد اقامت علاقات تجارية وغيرها مع حكومة جنوب افريقيا . وبطبيعة الحال ذكريات تجارة العبيد ليست في حاجة الى توضيح اثارها في تسميم العلاقات العربية ـ الافريقية[٧] ، خاصة اذا انتقلنا **للجانب الثالث** في تفسير هذا الاتجاه ، والذي يشمل اسرائيل والدول الاستعمارية ، فكلاهما كان يستخدم علاقاته الخاصة بالجانب الافريقي كما كان يستخدم الظروف الخاصة بكل من الجانبين العربي والافريقي في ضرب العلاقات العربية ـ الافريقية[٨] .

وتعبيرا عن هذا التباين ، ومحصلة لكل هذه الظـروف ، فقد كانت جميع الجهود والمحاولات التي يبذلها الجانب العربي لصالح ادراج القضية الفلسطينية ضمن جدول اعمال منظمة الوحدة الافريقية ، لا تقابل الا بالتحفظات التي كانت تبديها الدول الافريقية غير العربية ، والتي كانت تتلخص في ان قضية فلسطين ليست قضية افريقية بالمرة وانها لذلك تفضل الالتزام بموقف « حيادي » ازاء طرفي الصراع ، تاركة للأمم المتحدة مهمة تسويته .

ثانيا : « فلسطين » في القرارات الافريقية

خلاصة ما تقدم ان الدول الافريقية قد التزمت موقف « الحياد » على الاقل تجاه القضية الفلسطينية . وعلينا تفصيل ذلك . فعندما عقد مؤتمر القمة الافريقي الثاني في القاهرة (يوليو عام ١٩٦٤) ، صدر البيان الختامي عن المؤتمر خاليا من اية اشارة الى

قضية فلسطين . وتقول بعض المصادر الرسمية الاسرائيلية ان الحكومات العربية وجهت حملة معادية لاسرائيل في المؤتمر ، ولكن ذلك لم يحرك كل السياسيين الافريقيين لمناقشة الصراع العربي ـ الاسرائيلي[٩] .

وعندما انعقدت الدورة الثالثة لمؤتمر القمة الافريقي في اكرا (اكتوبر عام ١٩٦٥) ، لم تدرج قضية فلسطين في جدول اعمال المؤتمر ، ولم يتضمن بيانه الختامي اية اشارة اليها . ومن هنا اعلن « ليفي اشكول » رئيس الحكومة الاسرائيلية في يناير عام ١٩٦٦ امام الكنيست ، اثر تشكيل حكومة جديدة ، ان عدم موافقة رؤساء الدول الافريقية في مؤتمرهم الأخير في اكرا وفي المؤتمرين السابقين على دراسة موضوعات موجهة ضد اسرائيل ، يؤخذ مثلا لباقي الهيئات و المؤتمرات[١٠] . واضاف أبا إيبان وزير الخارجية الاسرائيلي آنذاك ان رفض زعماء الدول الافريقية تبنى اقتراح ضد اسرائيل في مؤتمر اكرا يعد بادرة مشجعة لتقدم اسرائيل في دائرة هامة في سياستها الدولية[١١] .

أما الدورة الرابعة للمؤتمر القمة الافريقي فقد عقدت في اديس ابابا (نوفمبر عام ١٩٦٦)، ولم يرد فيها شيء ما يتعلق باسرائيل ، سوى اعتراض الوفد الملاجاشي في المؤتمر على اغفال دعوة سفير اسرائيل لحضور الجلسة الافتتاحية للمؤتمر![١٢] .

واستمرت الدول العربية والدول الافريقية الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية على عدم اتفاقها بالنسبة للصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وذلك رغم جهود الدول العربية الافريقية الاعضاء في المنظمة في كل اجتماع سنوي لتحريك اعضائها للتقرب من وجهة النظر العربية .

ولقد كان من الواضح انه ليس من السهل على الدول الافريقية ان تقبل السير خلف الخط العربي في المنظمة خلال تلك المرحلة بما لابسها من ظروف . بل لقد نتج عن ذلك النزاع بين الطرفين ـ الدول العربية الافريقية والدول الافريقية غير العربية ـ قد رص الحساسية والتنافر داخل المنظمة ، بحيث ان كل طرف كان يعتقد بأن الطرف الآخر يسعى لفرض سيطرته على المنظمة .

ثم جاء العدوان الاسرائيلي على الدول العربية في ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، ليعكس بلوغ المفارقة ذروتها : ان اسرائيل لم تكتف بالاستيلاء على قطعة من الأرض العربية في فلسطين ، وقامت بعدوانها بالاستيلاء على اقاليم جديدة من اراضي ثلاث دول عربية اخرى ، وهي مصر وسوريا والأردن ـ ومع ذلك فقد حظيت بتأييد واضح من جانب الدول الافريقية ، اذا استثنينا بعض مظاهر الاعتراض الفردية مثل حالة غينيا التي قامت

بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في نفس يوم العدوان ٥ يونيو عام ١٩٦٧ . وليس هناك ادل على هذه المفارقة ـ وإن كانت تدل على اية حال على حقيقة وجوهر موقف الدول الافريقية من قضية فلسطين والصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ من ان مؤتمر القمة الافريقي قد عقد دورته الخامسة في كنشاسا (سبتمبر عام ١٩٦٧) ، ولم تدرج ازمة الشرق الاوسط في جدول اعماله ـ مجرد ادراج . ويدل هذا على مدى تردد الدول الافريقية في بحث ذلك الموضوع .

وقد اكتفى المؤتمر بإصدار « إعلان » أعرب فيه عن قلقه ازاء الموقف الخطير الذي يسود الجمهورية العربية المتحدة وهي بلد افريقي تحتل جزءا من اراضيه « قوة اجنبية » ، واعرب عن تعاطفه مع الجمهورية العربية المتحدة ، وقرر السعي داخل الأمم المتحدة كي يتم الجلاء عن اراضي الجمهورية العربية المتحدة .

وبغض النظر عن بعض الملاحظات الشكلية ـ على نحو اتجاه رؤساء الدول والحكومات الافريقية الى ذكر عبارة « اعلان » : «Declaration» بدلا من كلمة « قرار » : «Resolution» ، وامتناعهم عن خلع صبغة معتدية Aggressor على اسرائيل وانما التعبير عنها بالقوة الأجنبية Foreign Power ، والاكتفاء بالتعبير عن التعاطف Sympathy مع مصر ـ الا ان الاعلان الذي اصدره المؤتمر ـ والذي كان محل اعتراض من بعض الدول ـ لم يبد اي اهتمام بالمشكلة . ومعنى ذلك ان مجلس رؤساء الدول والحكومات الافريقية في ذلك الوقت لم يرغب في التدخل في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ولكنه في الوقت نفسه لم يوافق على الاحتلال العسكري لأراضي اية دولة « افريقية » عضو في منظمة الوحدة الافريقية . ويبدو ان اغلب اعضاء المنظمة كان يأمل في انسحاب اسرائيل من الأراضي التي احتلتها ، مثلما حدث في عدوان عام ١٩٥٦ تحت ضغط الأمم المتحدة والقوى الكبرى . ولهذا فقد وعدت الدول الافريقية في اعلانها بتأييد مصر من خلال العمل في الأمم المتحدة . ثم عندما عرضت الأزمة على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، كان موقف الدول الافريقية من مشروعات القرارات المتعددة ، احد المؤشرات على فعالية السياسة الخارجية الاسرائيلية[١٣]! حيث يمكن القول ـ اجمالا ـ ان نتيجة التصويت على مختلف المشروعات كانت كالتالي :

١ ـ هناك (١٠) دول افريقية ايدت الدول العربية بمختلف درجات التأييد وهي : بوروندي ـ الكنغو برازافيل ـ غينيا ـ مالي ـ السنغال ـ اوغندا ـ تنزانيا ـ زامبيا ـ جابون ـ نيجيريا .

٢ ـ وهناك (١٦) دولة افريقية ايدت اسرائيل بمختلف درجات التأييد وهي :

بتسوانا ـ جامبيا ـ غانا ـ ليسوتو ـ ليبيريا ـ مدغشقر ـ ملاوي ـ توجو ـ افريقيا الوسطى ـ داهومي ـ ساحل العاج ـ فولتا العليا ـ تشاد ـ رواندا ـ سيراليون ـ اثيوبيا .

مع ملاحظة اننا استبعدنا كلاً من موريتانيا والصومال ، في حين وقفت كل من كينيا والنيجر موقفا سلبيا .

ولا شك ان استعراض هذه النتيجة بدرجة اكبر من التفصيل ، لا بد وان يقود الى التسليم بأن الدلالة الحقيقية لنجاح السياسة الخارجية الاسرائيلية واجهزتها الدعائية بصفة خاصة ـ ترتبط بتوزيع اصوات الدول الافريقية تجاه قضية فلسطين و« ازمة الشرق الاوسط » في الدورة الخاصة التي عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة العدوان الاسرائيلي على الدول العربية ، وذلك عام ١٩٦٧ .

فعلى الرغم من ان هناك ست دول من بين الدول العربية تنتمي الى القارة ومنظمة الوحدة الافريقية ، وعلى الرغم من السياسة الافريقية النشطة التي مارستها تلك الدول وفي مقدمتها مصر طوال العشر سنوات الممتدة ما بين حصول اول دولة افريقية ـ غانا ـ على استقلالها عام ١٩٥٧ الى العدوان الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ ، وعلى الرغم من ان اسرائيل ـ الدولة المعتدية ـ لا تمثل جزءا من القارة الافريقية ـ الا انه كان من المتناقضات الغريبة ، على السطح ، ان تتخذ (١٢) دولة افريقية « موقفا عدائيا » من القضية العربية في التصويت على قرارات الأمم المتحدة ، في مقابل (٥) دول افريقية فقط وقفت من القضية العربية موقف « التأييد التام » ، وذلك بعد استبعاد درجات العداء او التأييد الأقل حدة من النتيجة الاجمالية التي قدمناها فيما سبق .

وتبدو هذه المتناقضات اكثر وضوحا باستعراض توزيع اصوات الدول الافريقية اثناء عملية الاقتراع على مشروعات حل الأزمة ، ويمكن الاقتصار في هذا الصدد على كل من مشروع الدول غير المنحازة ، الذي كان يمثل حلا وسطا بين المشروع الامريكي والمشروع السوفييتي ويعتبر بالتالي من المشروعات المؤيدة للعرب ، ومشروع دول امريكا اللاتينية ـ وقد جاء مدافعا عن المصالح الاسرائيلية :

ـ اذا استبعدت الدول العربية من حساب الاصوات ، نجد انه كانت هناك (١٤) دولة مؤيدة لمشروع عدم الانحياز المؤيد للعرب .

ـ كانت هناك (١٧) دولة مؤيدة لمشروع امريكا اللاتينية .

وينبغي ان يوضع في الاعتبار ان (٩) دول من بين الدول المؤيدة للمشروع الأول هي دول ناطقة باللغة الفرنسية ، ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالسياسة الفرنسية . وهو ما يعني

انه لا يبقى من بين الدول الافريقية التي ايدت فعلا مشروع عدم الانحياز ، بناء على موقف مستقل ، سوى (٥) دول في مقابل (١٧) دولة مؤيدة للمشروع المضاد .

وتتأكد هذه الدلالة لو انتقلنا الى مجموعة الدول التي اقتصرت على حد « الامتناع عن التصويت » . لقد كان مجموع الدول الافريقية في الأمم المتحدة آنذاك (٣٨) دولة ، وكان من بينها (٦) دول عربية ، ومن ثم يكون مجموع الدول الافريقية بالمعنى الضيق (٣٢) دولة ، وكان نتيجة الامتناع عن التصويت كالتالي :

ـ عندما طرح مشروع عدم الانحياز ، امتنعت عن التصويت (١٠) دول افريقية ، اي بنسبة (٣٣٪) تقريبا من المجموع الكلي للدول المصوتة .

ـ وعندما طرح مشروع امريكا اللاتينية ، اقتصر الامتناع عن التصويت على حد (٥) دول ، اي بنسبة تقل عن (١٥٪) من المجموع الكلي للدول المصوتة .

ويمكن القول ان الدلالة هنا واضحة ، لأنها تعني الصراحة في العداء للقضية العربية ، واختفاء مواقف التردد والتمزق بالنسبة للدول الافريقيةعندما يتعين عليها ان توازن بين قضية الدول العربية ـ من ناحية ، ودواعي الارتباط المصلحي باسرائيل او بالولايات المتحدة الامريكية ـ من الناحية الأخرى . وتوضح الجداول التالية موقف دول العالم وتوزيع اصوات الدول الافريقية خلال الدورة الطارئة التي عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عقب عدوان يونيو عام ١٩٦٧ .

جدول (آ)(*)

مواقف دول العالم في الأمم المتحدة من القضية

الموقف / المجموعة	تأييد تام	تأييد	سلبي	عدائي	المجموع
افريقيا (دون الدول العربية)	١٠	٦	١٠	١٢	٣٨
باقي دول العالم	٣٣	٤	٢٨	١٤	٧٩
المجموع	٤٣	١٠	٣٨	٢٦	١١٧

(*) **المصدر** : د. حامد ربيع ، فلسفة الدعاية الاسرائيلية (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ، ١٩٧٠)، ص ١٥١ .

جدول (ب)(*)

توزيع اصوات الدول الافريقية على مشروعات القرارات

المشروع / الموقف — توزيع الدول الافريقية	مشروع دول عدم الانحياز			مشروع دول امريكا اللاتينية		
	موافقة	رفض	امتناع	موافقة	رفض	امتناع
دول ناطقة باللغة العربية	٦	-	-	-	٦	-
دول ناطقة باللغة الفرنسية	٩	٢	٧	٩	٦	٣
دول ناطقة باللغة الانجليزية	٥	٦	٣	٨	٤	٢
المجموع	٢٠	٨	١٠	١٧	١٦	٥

(*) **المصدر** : د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية الاسرائيلية (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ، ١٩٧٠)، ص ١٥١ .

وتبقى هناك مجموعتان من الملاحظات تعطي دلالة خاصة لهذه النتائج :

اولاهما : ان اتخاذ معيار التصويت في الأمم المتحدة كدلالة على قوة الاقناع للدعاية الاسرائيلية ، ينبغي ان تتحدد صلاحيته في ضوء عدة محددات ، وفي مقدمتها : ان هذا التصويت يعلن عن وجهة نظر الهيئة الحاكمة في الدولة ، انما هو تعبير عن رأي عام رسمي وليس عن رأي عام شعبي ـ من ناحية ، وان التصويت في الأمم المتحدة لا يعكس درجة الاهتمام الدولي من عدمه ، وإنما يعبر عن ارتباطات ومصالح وتوازنات تتصف بأبعاد الأمن القومي وتتركز في الاستراتيجية الدولية ـ من ناحية ثانية ، وإن النفوذ الأمريكي في نطاق العلاقات الدولية لا بد وان يصير العامل الحاسم في تحديد تحركات هذه القوى وبالتالي في عملية التصويت ، خاصة في تلك المرحلة من مراحل التطور الدولي ـ من ناحية ثالثة . ولعل خير دلالة على ذلك موقف الحكومة الفرنسية الذي لا يمكن ان يقال بأنه يعكس اتجاهات الرأي العام الفرنسي الحقيقية ، ثم سلبية دول امريكا اللاتينية واليابان التي تربطها بالمنطقة العربية مصالح اقتصادية لا يمكن تجاهلها ، واخيرا موقف الدول الافريقية وقد سبقت الاشارة الى بياناته وارقامه ودلالاتها .

وثانيتهما : ان هذا الموقف الافريقي في مجموعه ظل ثابتا لفترة ولم يتغير . فالسبع عشرة دولة التي ايدت مشروع دول امريكا اللاتينية والموالي للمصالح الاسرائيلية ظلت

على موقفها من العداء للقضية العربية . وفضلا عن ذلك فإن تحليل الدلالة التي تستتر خلف ارقام ، خاصة لتحديد فئة الدول العدائية بدقة ـ يوضح ان طائفة الدول السلبية تضم (٩) دول افريقية تتخذ موقف الامتناع عن التصويت على القرارات . وهو موقف لا يزال يعكس نوعا من العداوة او على الاقل عدم الاهتمام . ولعل هذه الدلالة تبرز واضحة عندما ننظر الى مجموع الدول التي رفضت مشروع امريكا اللاتينية ، والتي تعكس بهذا المعنى درجة معينة من درجات التأييد ، فهي ترفض مشروع امريكا اللاتينية ، ولكن هذا لا يعني بالتبعية انها تؤيد مشروع دول عدم الانحياز . فإذا القينا نظرة على مجموع الدول المؤيدة لوجهة النظر العربية ـ أي الدول المؤيدة تأييداً تاماً والدول المؤيدة ـ لوجدنا هذا المجموع مستقرا على نفس العدد وهو (١٦) دولة . وارتفاع العداء للقضية العربية في ظل تلك الظروف ـ والى هذا الحد ـ لا بد وان تكون له دلالته ، ولا بد ان يوضع في الاعتبار عند تقييم درجة ومحتوى التحول والتغير في الموقف الافريقي ، وفهم الاسباب التي دعت اليه بالتالي ـ باعتبار كل ذلك اساس لا بد منه في اطار محاولة اختراق حجاب « الظاهر » من المواقف الدبلوماسية والتوصل الى حدود « الباطن » في تلك المواقف . ومن ثم الانتهاء الى بناء شبكة من التوقعات والاحتمالات ، بخصوص مستقبل العلاقات المتبادلة بين هذه الثلاثين من الدول : اسرائيل ، الدول الافريقية ، الدول العربية ، على اساس من معايير اقرب ما تكون الى الدقة والحقيقة خاصة اذا وضع في الاعتبار ان التصويت في الأمم المتحدة ـ كما تقدم ـ هو تصويت « حكومات » وليس تصويت « شعوب » .

ويمكن القول ان هذه المواقف في حقيقتها ، كانت مؤشرات على محصلة الصراع السياسي والدبلوماسي بين الدول العربية واسرائيل في افريقيا . وتكفي الاشارة الى ان اسرائيل كانت لها بعثات دبلوماسية وعلى مستوى القارة في غالبية الدول الافريقية غير العربية ، عشية عدوان يونيو عام ١٩٦٧ ، كما كان لها وجود نشط في هذه الدول يتغاير مع الاتجاه العربي الى رفض الاعتراف بها ، بما فرض ذلك من توجهات ومحددات على طبيعة الدور والاداء العربي في افريقيا تجاه الوجود الاسرائيلي . ولقد شهدت الستينات نمو هذا الوجود بالرغم من كافة الجهود العربية لصد التقدم الاسرائيلي على الأرض الافريقية والذي بلغ ذروته ـ كما تقدم ـ في غمار عدوان يونيو عام ١٩٦٧ .

ثالثاً : الاستمرار والتغير في الموقف الافريقي

من الصحيح ان الموقف الافريقي ، بدأ يتحول في الأعوام التالية لعام العدوان الاسرائيلي ـ هذا التحول الذي بلغ ذروته ايضا في غمار حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، حيث

اخذ يعبر عن درجات « اقل » من « التأييد » للموقف الاسرائيلي ، ثم إذا به يعبر عن درجات أكبر من التأييد للموقف العربي سواء على المستوى الثنائي او على المستوى الجماعي أو في المنظمات الدولية . ومع ذلك فمن الضروري الاتفاق على مفهوم « التأييد » حتى يمكن تقدير « حدوده ودرجاته » تقديرا دقيقا . ففيم كان تأييد الدول الافريقية لاسرائيل حتى عدوانها في يونيو عام ١٩٦٧ ؟ ، وما هي الحدود التي انسحب عنها ذلك التأييد بعد ذلك ؟ وفيم كان امتناع الدول الافريقية عن تأييد الجانب العربي ؟، وما هي الحدود التي امتد اليها التأييد الافريقي للدول العربية ، هذا التأييد الذي بدأ متردداً منذ عام ١٩٦٨ ثم بلغ ذروة مظاهره بالاعلان عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل في غمار حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ؟

يمكن القول ان موقف التأييد الذي التزمته غالبية الدول الافريقية تجاه اسرائيل حتى عام ١٩٦٧ ، كان يمتد ليغطي مجموعة من الخطوط الجوهرية والاصيلة ، التي يمكن تلخيصها في القبول بشرعية الوجود الاسرائيلي والاقرار بصحة الاساس الابديولوجي الذي يستند اليه هذا الوجود وقبول المنطق الذي يطرحه ـ اي المفاوضات المباشرة ـ كأساس لتسوية المشكلات الناجمة عن هذا الوجود . وبعد العدوان الاسرائيلي في يونيو عام ١٩٦٧ ، اضيف الى ذلك اقتناع غالبية الدول الافريقية بوجهة النظر التي ساقها الاعلام الصهيوني لتبرير العدوان ، حيث ادرج ما قامت به اسرائيل ضد الدول العربية في اطار « نظرية الدفاع الاستباقي عن النفس : «Anticipatory Right of Self-Defence » .

وفي ضوء هذه الخطوط الجوهرية والأصيلة ، فإنه يمكن القول ان الموقف الافريقي تجاه قضايا الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، سواء في منظمة الوحدة الافريقية أو في الأمم المتحدة ـ كان موقفا مبرراً ومتسقا مع منطلقاته ، بغض النظر عن الاحكام القيمية المرتبطة بتقويم هذا الموقف .

والمهم ان التحولات التي كانت تعتري الموقف الافريقي بعد ذلك كانت تجري في مناطق « التخوم » البعيدة لهذه الخطوط الجوهرية والأصيلة ، حيث كانت تتركز بالتحديد في قضية « الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، ورفض اسرائيل الانسحاب منها » . وهكذا يمكن القول ان « درجات التأييد » الافريقي التي جرى « خصمها » من رصيد الجانب الاسرائيلي و« اضافتها » الى رصيد الجانب العربي مع مرور الوقت ، لم يكن يبررها الا استمرار الاحتلال الاسرائيلي الى حد بعيد . ويمكن الاستدلال على ذلك من بعض المؤشرات ، ولعل في مقدمتها مؤشرين هامين :

اولهما ـ قبول المنطق الاسرائيلي في مسألة الأراضي العربية المحتلة ، نزولا على

مقتضيات الخطوط الجوهرية والأصيلة . ويتلخص هذا المنطق ـ باختصار ـ في انه لن يكون هناك انسحاب ، في اطار التسوية ، الا من « اراض » وليس من كل الأراضي العربية المحتلة ، وهو نفس منطق النص الانجليزي من قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (نوفمبر ١٩٦٧) . ومن الملاحظ ان مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية ، سواء على مستوى القمة او على مستوى الوزراء ، قد درجت منذ عام ١٩٦٨ ، على استخدام هذا النص في قرارات « التأييد » التي كانت تصدرها لصالح الجانب العربي . حيث ذهبت بعض الدول الافريقية صراحة الى حد تأييد التوسع الاسرائيلي .

ثانيهما ـ ربط الموقف الافريقي من اسرائيل بمسألة استمرار احتلالها للأراضي العربية . وبهذا المعنى فقد درجت توصيات وقرارات اجهزة منظمة الوحدة الافريقية بمستوياتها المختلفة ، على ربط توجيهاتها للدول الاعضاء باتخاذ اجراءات مضادة لاسرائيل باستمرار احتلال الاخيرة للأراضي العربية ، ومن ابرز التوصيات في هذا المجال ، ما تضمنه قرار مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية في دورته الثامنة غير العادية في اديس ابابا (نوفمبر عام ١٩٧٣) بخصوص ازمة الشرق الاوسط وموقف الدول الاعضاء في المنظمة من هذه الأزمة ـ من توصية بالابقاء على قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل لحين انسحابها من الأراضي العربية المحتلة ولحين استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه القومية المشروعة .

وتكفي الاشارة ـ في مجال التدليل على الادراك الافريقي لهذه الخطوط السابقة كلها ـ الاشارة الى مجرد تصريح للرئيس السنغالي ليبولود سنغور في اواخر عام ١٩٧١ قال فيه : « إن الحركة الصهيونية تشابه نضال الزنوج وحركة القومية العربية ، وذلك باعتبارها حركة تحرر وطني » . ومن المهم ان نلاحظ هنا ان هذا التصريح قد صدر عنه بعد مضي ما يزيد على اربع سنوات على « استمرار احتلال اسرائيل للأراضي العربية » ، وفي اثناء قيامه بمهمة الوساطة بين مصر واسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، في اطار مهمة « اللجنة الرباعية » لتقصي الحقائق طبقا لقرار مؤتمر القمة الافريقي الثامن في اديس ابابا (يونيو عام ١٩٧١) ! .

وفي ضوء ما تقدم ، تستبين الحدود التي انسحب عنها التأييد الافريقي لاسرائيل ، كما تستبين في نفس الوقت الحدود التي امتد اليها ذلك التأييد في منطقة الحقوق والمطالب العربية . وكذلك تتضح المعايير التي ينبغي إعمالها لتقدير جوانب « الأصول والخصوم » ، في حساب رصيد التأييد الافريقي لأطراف الصراع ـ العربي ـ الاسرائيلي .

ومعنى ذلك انه ما يزال على الدول العربية ان تتقدم باستمرار لتوسيع رقعة التأييد

الافريقي ـ كماً ونوعاً ، فضلاعن استمرار ما تحقق فعلا من تأييد للأهداف القومية العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين . . . فضلا عن الحيلولة دون التفاف اسرائيل والدوائر التي تساندها من حول العالم العربي ، وهو الهدف الذي تسعى اليه اسرائيل عن طريق دعم علاقاتها بأفريقيا واضعاف العلاقات العربية ـ الافريقية او تحطيمها تحطيماً تاماً . ويقتضي كل ذلك ضمان التنسيق المستمر تأييدا للأهداف المشتركة بين الدول العربية والدول الافريقية في القضايا الدولية المعاصرة وعلى رأسها قضية ارساء اسس نظام اقتصادي دولي جديد يجعل العلاقة بين الدول الصناعية والدول المصدرة للمواد الخام اكثر توازنا . . بالاضافة الى السعي المستمر من اجل الوصول الى تكامل استراتيجي بين افريقيا والعالم العربي يجعل العرب هم المصدر الأول لتلبية حاجات افريقيا حضاريا وبصفة خاصة في مجال تنمية الموارد البشرية واستخراج المواد الخام وتصنيعها محليا ـ من ناحية ، كما يجعل افريقيا هي العمق الجغرافي والزراعي والبشري للعالم العربي ـ من ناحية اخرى .

ويوم يتحقق ذلك ، يتأكد اننا على الطريق الصحيح من اجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي للشعوب العربية والافريقية معا .

الحواشي

(١) انظر في الوجود الاسرائيلي في افريقيا قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ :
ـ د. عبد الملك عوده ، **النشاط الاسرائيلي في افريقيا** (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٦) .
ـ محمد علي العويني ، **سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا** (القاهرة: المؤلف ، ١٩٧٢) .
ـ د. عواطف عبد الرحمن ، **اسرائيل وافريقيا ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣** (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ، ١٩٧٤) .
ـ د. غسان العطية ، **التحرك الاسرائيلي في افريقيا ـ التجربة الأوغندية** (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٣) .

(٢) انظر في العلاقات الاسرائيلية ـ الافريقية بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ :
ـ د. عبد الملك عوده ود. محمد علي العويني ، « حرب اكتوبر والمتغيرات في الموقف الافريقي » ، في : **الندوة الدولية لحرب اكتوبر ٧٣** ـ المجلد الثاني (القاهرة : ادارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٨٦)، ص ٢١٧ ـ ٢٣٢ .
ـ د. لوكواجو ، « النظرة الافريقية للشرق الاوسط منذ حرب اكتوبر حتى اتفاقية سيناء » ، في : **المرجع السابق** ، ص ٢٤٤ ـ ٢٥٤ . . . وايضا :

— Elliott P. Skinnes, «African States and Israel: Uneasy Relations in a World of Crises», **Journal of African Studies,** vols.2, No.1 (Spring 1975.

— Douglas L. Greenes, «Israeli- African Relations: The End of an Eara», **Africa,** No.29 (January 1974).

(٣) جمال عبد الناصر ، **فلسفة الثورة** ، الجزء الثالث .

(٤) انظر في هذا الخصوص :

محمد محمد فائق ، **عبد الناصر والثورة الافريقية** (بيروت : دار الوحدة ، ١٩٨٠) .

(٥) انظر مثلا افكار نكروما في كتابه :

Kwame Nkrumah, **Africa Must Unite** (New York: Frederick A. Praeger, 1963).

(٦) انظر نص الخطاب في :

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الرابع (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، بدون تاريخ نشر)، ص ٣٦١ .

(٧) انظر وجهة نظر جديدة في الر ـ على قضية تعامل بعض الدول العربية مع جنوب افريقيا : علي ابو سن ، **العرب وتحديات الحوار مع افريقيا** (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٨)، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٨) انظر للكاتب :

« اسرائيل والعلاقات العربية ـ الافريقية » ، **المستقبل العربي** ، العدد ٢ ، السنة الأولى (يوليو ١٩٧٨) ، ص ٦٢ ـ ٧٨ .

(٩) **Israel Government Year Book 1965- 1966,** p.172.

(١٠) **Israel Digest,** 28-1-1966.

(١١) **اليوميات الفلسطينية** ـ المجلد الثامن (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ، ١٩٦٥)، ص ١٩٥ .

(١٢) **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٦** (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ، ١٩٦٧)، ص ٥٥٥ .

(١٣) انظر بخصوص العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ والموقف الافريقي منه في الأمم المتحدة :

ـ د. جورج ديب ، **العدوان الاسرائيلي في الأمم المتحدة** (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٨) .

ـ ج. هـ. جانسن ، **اسرائيل والدول الآفروآسيوية** (بيورت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ، ١٩٧٠) .

ـ د. عبد الملك عوده ، « العدوان الاسرائيلي وموقف الدول الافريقية » ، **السياسة الدولية** ، العدد ٩ (يوليو ١٩٦٧) .

ـ د. محمد فتح الله الخطيب ، « العدوان الاسرائيلي والجمعية العامة للأمم المتحدة » ، **السياسة الدولية** ، العدد ٩ (يوليو ١٩٦٧). وايضا :

— Tareq Y. Ismael, **The Middle East in World Politics** (Syracuse University Press, 1974).

THE AFRICAN POSITION ON THE PALESTINIAN QUESTION

M. Hammad

This research aims to study and assess the nature of the African position towards the Palestinan question and the Arab- Israeli conflict in general. Thus, it begins with a review of the Arab- African meetings during the fifties and sixties, especially after the establishment of the Organization of African Unity, when some African non-Arab states asked to dissolve the League of Arab Countries for the benefit of the new organization. Also, they declared continental limits for any Arab- African cooperation. That is to say that the PalesQnian Question , in particular , is outside the scope of African areas of interest.

As the frequent African summits of the OAU have consistently declared their commitment to this position, even after the Israeli aggression of June 1967-this research attempts, also, to analyze and explain this African stance. Then, it follows up the transfers and shifts in the African position especially during and after the October War of 1973, so as to define the actual limits of these shifts and their content. Here it is enough to refer to a statement by the president of Senegal (1971), Mr. Sengor , where he identifies Zionism as a national liberation movement»!